

الباب الأول

في ذكر بعض الآيات الجائفة
على الصدقة

obeikandi.com

الباب الأول

في ذكر بعض الآيات الحاشية على الصدقة

لقد حظيت الصدقة والإنفاق في سبيل الله، وما يتعلق بذلك من الإيثار وغيره باهتمام بالغ في كتاب الله، فقد رغب في الإنفاق بأساليب مختلفة، وطرق متنوعة، منها:

١- جعل الله ﷻ الإنفاق من أوصاف المتقين والمؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ﴾ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٥] ثم وصفهم بقوله: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَاعْفَرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَنَّا عَذَابِ النَّارِ﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿[آل عمران: ١٦-١٧].

وقال ﷻ واصفاً المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ [الأنفال: ٣].

وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩].

يخبر ﷺ عباده بصفات المتقين المؤمنين الذين يرجون تجارة لن تبور، فيبين أن من أهم صفاتهم أنهم ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاته، وطلباً لجنته التي أعدها لعباده. فهل من مشمر للجنة؟

٢- أن الله تعالى جعل الحسنة بعشر أمثالها، وجعل حسنة الإنفاق سبعمائة ضعف، مع قبولها للزيادة على ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فالله ﷻ يضاعف لمن يشاء.. يضاعف بلا عدة ولا حساب.. يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده، ومن رحمته التي

لا يعرف أحد مداها: ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] لا يضيق عطاؤه ولا يكف ولا ينضب. يعلم بالنوايا ويثيب عليها، ولا تخفى عليه خافية.

٣- حث القرآن على أن ينفق المرء من الطيبات وما يحب، قال تعالى: ﴿ لَنْ تَأْكُلُوا أَلْبَرَكُمْ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٩٢]^(١)، وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِيهِ إِلَّا أَنْ تَغْمُضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، قال الحافظ ابن كثير رحمته: «قال ابن عباس: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده، وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولهذا قال: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ ﴾ أي: تقصدوا الخبيث: ﴿ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِيهِ ﴾ أي: لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه؛ فالله أغنى عنه منكم، فلا تجعلوا لله ما

(١) والبر الجنة في قول ابن مسعود وابن عباس وعطاء ومجاهد وعمرو بن ميمون ومسروق والسدي. [فتح القدير (١/٤٦٨)].

تكرهون»^(١).

٤- حث الله تعالى على الإنفاق في السر والعلانية، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وفي هذه الآية إشارة إلى أن إقام الصلاة والإنفاق تخلص المرء من أهوال ذلك اليوم العصيب، وإشارة أخرى إلى الحث على إنفاق المال وألا يتخذ خولاً بين الأخلاء والتجار، بل ينبغي أن يكون للفقير منه نصيب، وذلك هو النافع الباقي للأخرة، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ومدح الله المنفقين سرّاً وعلانية، فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

الذين ينفقون بالسر حيث تصان الكرامة وتطلب المروءة،

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٧).

وتتخرج النفس من الإعلان. والعلانية حيث تُطلب الأسوة، وتنفذ الشريعة.

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا أَلْصَدَقَتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخَفُّوَهَا وَتُؤْتُوهَا أَلْفَقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وقوله: ﴿وَإِنْ تُخَفُّوَهَا وَتُؤْتُوهَا أَلْفَقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها، لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يترتب على ذلك مصلحة راجحة من اقتداء الناس به، فيكون أفضل من هذه الحيلة»^(١).

وجاء في الحديث: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»^(٢).

٥- إخبار الله تبارك وتعالى أنه عالم بكل ما ينفقه الإنسان ابتغاء مرضاته وأنه سيجازي كل عبد على ما أنفق، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٣٠).

(٢) سيأتي تحريجه.

وقال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].. ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله أن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله، فقد وقع أجره على الله، ولا عليه في نفس الأمر لمن أصاب أبر أو فاجر، أو مستحق أو غيره. وهو مثاب على قصده، وأن مستند هذا: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ^(١).

٦- حض الله تعالى عباده على المبادرة بالإنفاق، والمساورة إليه قبل الموت، وقبل يوم القيامة؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٣١).

وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى:
﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ
الصَّالِحِينَ﴾ [١] وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ﴾ [٢] [المنافقون: ١٠-١١].

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ﴾ يُذَكِّرُ الله تبارك وتعالى عباده
بمصدر هذا الرزق الذي في أيديهم. فهو من عند الله الذي آمنوا
به، والذي يأمرهم بالإنفاق. شكراً على النعمة، ورعاية
للمصلحة العامة للفقراء.. ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾
[المنافقون: ١٠] فيترك كل شيء وراءه لغيره، وينظر فلا يجد أنه قدم
شيئاً لنفسه، وهذا هو الخسران المبين.

حيث يرجو حينئذٍ ويتمنى أن لو كان قد أمهل ليتصدق
وليكون من الصالحين! وأنى له هذا؟ فإنه: ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا
إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾.

ففي هذه الآيات أبلغ نذير للعبد، أن يسارع في الخيرات،
وأن يعلم أن ما أنفقه خير مما أبقاه، وقد قال تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ

إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِ
الْعَظِيمِ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فجعل الله تعالى أول صفات المتقين الذين
أعدت لهم جنة عرضها السموات والأرض، وأمروا بالمسارعة
إلى مغفرة الله وإلى الجنة؛ جعل أول صفاتهم أنهم ينفقون في
السراء والضراء، أي فهم ينفقون في مختلف الأحوال، ولا يثنى
عن ذلك إقلال أو ضراء أو كلفة، ولذلك كان من أفضل
الصدقة جهد المقل، قال ﷺ: «سبق درهم مائة ألف درهم»^(١).

ولهذا ينبغي ألا يتحرج المسلم من التصدق والإنفاق ولو
بالقليل؛ فإن ما يقوم بالقلب عند الإنفاق من تعظيم الله ورجاء
مغفرته وامتنال أمره، والرحمة بالمساكين من خلقه؛ أعظم في
الأجر، وقد ذم الله المنافقين الذين عابوا على رجل من الأنصار
جاء بصاع من طعام يتصدق به فقالوا: إن الله ورسوله لغنيان
عن هذا الصاع. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ
فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾

(١) النسائي (٥/ ٥٩) (٢٥٢٧)، وقال الألباني في تحقيقه للنسائي: «حسن».

[التوبة: ٧٩] (١).

٧- إخباره ﷺ أن الإنفاق لا ينقص المال، بل يبارك فيه، ويخلف الله على المنفق خيراً مما أنفق دنیا وأخرى أو هما معاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩].

٨- ضرب الأمثال التي تبين فضل الإنفاق والمنفقين، قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَاءَتِ أَكْلُهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: هذه الجنة بهذه الربوة لا تمحل أبداً؛ لأنها إن لم يصبها وابل فطل (٢)، وأياً ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويكثره وينمي» (٣).

(١) سياقي تخريج القصة.

(٢) الوابل: المطر الشديد ومنه: «أخذوا وبيلاً» أي: شديداً. والطل: قال في الصحاح: «الطل: أضعف المطر» وقيل: المطر الضعيف المستدق القطر.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٦).

٩- ذم البخل:

ولما كان القرآن قد رغب في الصدقة، وضاعف أجور المتصدقين والمنفقين؛ فإنه ذم البخل والشح، وتوعد البخل بالعسرى، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخَلْ وَاسْتَغْنَى ﴿٨٠﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٨١﴾ فَسُيِّرَ لَهُ الْعُسْرَى ﴿٨٢﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿٨٣﴾﴾ [الليل: ٨-١١]، فقرن البخل في الآيات بالاستغناء عن الله والتكذيب بالحسنى، وكلاهما كفر، وفيها إشارة إلى أن لسان حال البخل تعرب عن الطغيان والاستكبار، بالاستغناء عن الواحد القهار، فهو إذ لم ينفق المال، متمص لشخصية من قال له قومه: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا أَتَىكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴿٧٨﴾﴾ [القصاص: ٧٧-٧٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧] الآية، فالله عز وجل يبين أن البخل كاتم لفضل الله جاحد لنعمته، وأن البخل إذا استشرى صار صاحبه يتنصص بإنفاق غيره، فلا يلبث أن يأمره بالبخل.

قال الإمام الشوكاني رحمته الله: «وهؤلاء المذكورون في الآية، ضموا إلى ما وقعوا فيه من البخل الذي هو أشر خصال الشر، ما هو أقبح منه، وأدل على سقوط نفس فاعله، وبلوغه في الرذالة إلى غايتها؛ وهو أنهم مع بخلهم بأموالهم، وكتمهم لما أنعم الله عليهم من فضله، يأمررون الناس بالبخل، كأنهم يجدون في صدورهم من جود غيرهم بهاله حرجاً ومضاضة». ثم دعا عليهم رحمته الله موبخاً لهم: «فلا أكثر الله في عباده من أمثالكم، هذه أموالكم قد بخلتم بها لكونكم تظنون انتقاصها بإخراج بعضها في مواضعه؛ فما بالكم بخلتم بأموال غيركم، مع أنه لا يلحقكم بذلك ضرر؟! وهل هذا إلا غاية اللؤم، ونهاية الحمق والرقاعة، وقبح الطباع وسوء الاختيار؟!»^(١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمته الله: «وقوله تعالى: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٧]، فالبخيل جحود لنعمة الله، ولا تظهر عليه ولا تبين؛ لا في مأكله ولا في ملبسه، ولا في إعطائه وبذله» قال: «ولهذا توعدهم بقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧] والكفر هو الستر والتغطية، فالبخيل

يستر نعمة الله ويكتمها ويحدها، فهو كافر لنعمة الله عليه»^(١).

ومن ذم البخلاء وإيعادهم قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾ [آل عمران: ١٨٠]، فالآية تذكر أن البخيل الذي لا يؤدي زكاة ماله أنه يطوق به يوم القيامة، فيمثل له ماله شجاعاً أقرع يطوق عنقه؛ وقد بين هذا رسول الله ﷺ كما في الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزميه - يعني شذقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ الآية»^(٢).

ولكن قبل ذلك يجب الانتباه إلى أن الحصول على ما سبق من الصفات والأجور مشروط بالإخلاص، قال ابن كثير رحمته الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٠٨).

(٢) البخاري (٢/٥٠٨) (٤/١٦٦٣) (١٣٣٨) (٤٢٨٩).

اللَّهِ ۞ قال: «هذا مثل خيرية الله لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته»^(١).

كما أن الحصول على الأجر المذكور مشروط أيضاً بأن لا يتبع الصدقة من ولا أذى، بقول ولا فعل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (١١٣) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ۝ [البقرة: ٢٦٢-٢٦٤]، فذكر سبحانه أن المن والأذى يبطل الصدقات، أي: يبطل أجرها وثوابها.

قال السيوطي رحمه الله في تفسير المن والأذى: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا ۝ على المنفق عليه بقولهم مثلاً: قد أحسنت إليه وجبرت حاله، ﴿وَلَا أَذًى﴾ له بذكر ذلك إلى من لا يجب وقوفه عليه ونحوه»^(٢). أي: أن الفقير يستحي من اطلاع الناس على أنه

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٤).

(٢) تفسير الجلالين (١/ ٥٥).

قد تُصدق عليه، فإذا فعله المتصدق فقد أتبع صدقته بالأذى.

وقد ضرب الله مثل من يبطل أجر نفقته بالمن والأذى؛ بمن ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأن الرياء محبط للأجر قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ ﴿٢٦٥﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ ﴿٢٦٦﴾ [النساء: ٣٨-٣٩]، فبين سبحانه أن المرااة بالنفقة تحبط الأجر، بل ويستحق صاحبها اللوم والذم؛ لأنه كالمستهين بنظر الله إليه، فلذا عدل إلى طلب رضا الناس بمراآتهم.

* * *

آيات في الإنفاق:

وطلباً للاختصار نسرد بعض الآيات الواردة في كتاب الله العزيز، في الحث على النفقة، وبيان أجر فاعلها:

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ١٠]، وهي تشير إلى أن المال مال الله، وأن لله ميراثه، وأن المرء إنما هو خليفة على مال مولاه، وهما هو مولاه قد أمره بالإنفاق، فلا ينبغي له أن يتخلف عن تنفيذ الأمر، ويتبع شح نفسه، فإنه من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ۖ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ۖ ﴾

فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْيُسْرَى ۖ ﴾ [الليل: ٥-٧].

وقال تعالى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا

وَأُسِيرًا ۖ ﴾ [الإنسان: ٨].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

فِيضَعِفُهُ لَهُ ۖ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۖ ﴾ [الحديد: ١١].

فالله تعالى الغني عن عباده المتفضل عليهم الرازق لهم الكافل لهم، الذي لو شاء لأخلى ما بأيديهم من المال، يدعوهم ويندبهم إلى أن يقرضوه، وذلك بالإنفاق في سبيله، وهو غني عن العباد متعالٍ عن الحاجات؛ لكن سماه قرضاً ليبين الجزاء المترتب عليه. وحاجة العبد إلى الحسنات التي تنقذه من الموقف المظلم يوم القيامة أشد من حاجة المقرض اقتضاء ماله وقت حاجته إليه.

* * *

* *

*